الأم، أو ذاك، فإن تطور الأول، وبالتالي صياغته، ظلا محكومين باملاءات الثاني واعتباراته. والمشروع الابن، الذي لا يزال قيد الانشاء ولم يستكمل بناءه الذاتي بعد، بقي، وهو يعمل على تثبيت استيطانه، يسعى لربط نفسه في استراتيجية تجسيد المشروع الأم، وبالتالي، ترسيخ مبرر وجوده في المركز عبر الدور الذي يلعبه، فعلاً أو قوة، في خدمة المصالح الامبريالية في المنطقة. وبذلك تكون قيادة العمل الصهيوني، ومنذ البداية، قد ربطت الشق اليهودي من مشروعها الاستيطاني، الرامي إلى بناء الدولة اليهودية عبر تهويد فلسطين، أرضاً وشعباً وسوقاً، بالشق الامبريالي لذلك المشروع، المتمثل في بناء الآلة العسكرية الصهيونية، وتسخيرها لتنفيذ استراتيجية المشروع الأم، التي تضع، في أعلى سلم أولوياتها، التصدي لحركة الجماهير العربية وضربها وإحباطها. وهكذا تشكلت العلاقة الجدلية بين شقي المشروع الصهيوني ــ الاستيطاني والعدواني، الأول في فلسطين والثاني في العالم العربي. أما في فلسطين، فقد تركز العمل الصهيوني على تأمين القاعدة، سواء للاستيطان أم للعدوان؛ مما ترتب عليه تهويد فلسطين تهويداً كاملاً، وهو ما أخفق المشروع الصهيوني في تحقيقه إلى الآن. وأما في العالم العربي، فقد توجه النشاط الصهيوني إلى الاسهام في تطويع حركة الجماهير العربية لاملاءات المشروع الامبريالي الأم، وهو الدور الذي لم يستكمل بعد. وعلى هذين المبدأين قامت العقيدة الأمنية للكيان الصهيوني، خاصة على صعيد الاستراتيجية العليا المتعلقة بإقامته ومبرر وجوده. فمن جهة، هناك ضرورة ضمان «أمن القاعدة»، سواء للاستيطان أم لآلة العدوان، وهو الأمن الذي لا يستتب إلاّ بالتهويد الكامل لفلسطين، ممّا يترتب عليه تغييب الشعب الفلسطيني وصولاً إلى تذويبه. ومن جهة أخرى، هناك «أمن مبرر البقاء»، الذي يعتمد على النجاح في الاداء والقيام بالدور الموكل، وهو الأمن الذي لا يستتب دون التحكم بالمسارات السياسية لحركة الجماهير العربية. والعلاقة الجدلية بين هذين «الأمنين» واضحة وضوح جدلية العلاقة بين البعدين، الوطني والقومي، في الصراع الدائر في المنطقة.

ولقد وعت قيادة العمل الصهيوني أبعاد مشروعها، وراحت، منذ البداية، تنسج شبكة علاقاتها مع المراكز الامبريالية على أساس الربط الوثيق بين شقي المشروع الصهيوني ــ اليهودي الذاتي، المنطلق من أرضية الفهم الصهيوني لـ «المسألة اليهودية» وسبل حلها، والامبريالي المنطلق من دور الاستيطان الصهيوني في تنفيذ المشاريع الامبريالية إزاء المنطقة. هكذا طرحت الصهيونية السياسية، الهرتسلية، فكرة القاعدة المتقدمة للحضارة الغربية لقاء منح حركتها امتياز الاستيطان الكولونيالي في فلسطين ــ قلب العالم القديم. وتطورت هذه الفكرة التصاقاً بالمشروع الامبريالي البريطاني على يد خلف هرتسل، حاييم وايزمن، الذي لعب نشاطه على هذا الصعيد دوراً أساسياً في استصدار «وعد بلفور». وحتى قبل قيام اسرائيل، طرح بعض المندوبين الصهاينة إلى بريطانيا، ومنهم يسرائيلي غليلي، الزعيم العمالي وأحد قادة الهاغاناه، مسألة تجنيد الاستيطان الصهيوني في فلسطين (اليشوف) في خدمة الجيش البريطاني في الشرق الأوسط عشية الحرب العالمية الثانية. ومعلوم أن الحركة الصهيونية ساهمت في الجهد العسكري للحلفاء في الحربين العالميتين، الأولى والثانية. كما أن بعض قيادات الاستيطان